وزارة التعليم العالي والبحث العلمـــي
جـــامـعـــة ديـالـى
كـلـيـة التـربـيـة للـعـلـوم الإنـسـانـيـــة
قسم اللغة العربية

سيرة عبد اللّه إبراهيم (أمواج)

دراسة ثقافية

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة دَيالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية/ الأدب

من قبل الطالب

أحمد سلمان أحمد جاسم

بإشراف

أ.د فاضل عبود خميس التميمي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

الفصل الأول

الذاكرة العراقية بين السرد والتفكيك

المبحث الاول: تمثيل ذاكرة السّيرة

المبحث الثاني: الأيديولوجية الشموليَّة واستباحة الذاكرة الجمعية

توطئة

نتيجة الحروب والتحولات الجيوسياسية والثقافية التي شهدها العالم في الربع الأول من القرن العشرين؛ نشطت عدة حركات ثورية وفكرية وسياسية. ولم يكن العراق بعيدًا عن تلك التأثيرات، إذ شهد تحولات سريعة؛ ابتدأت بسقوط الامبراطورية العثمانية، والاحتلال البريطاني، والاستقلال الحدودي والإداري، وتأسيس الحكم الملكي، وأخيرًا الانقلابات العسكرية الداخلية. وخاصّةً انقلاب "حزب البعث" وسيطرته على الدولة العراقية الحديثة أكثر من ثلاث عقود.

لم يكن "عبد الله إبراهيم" بعيدًا عن مدار وصف إدوارد سعيد لأدوار المثقفين الفاعلين في مجتمعاتهم، حينما قال: ((يبدو لي أن واحدًا من أكبر أدوار المثقفين في المجال العام هو أن يعملوا كنوع من الذاكرة العامة، وأن يتذكروا ما نُسي أو تم تجاهله... أن يذكّروا الجمهور بالمسائل الأخلاقية التي قد تكون محتجبة خلف صخب الجدال وضجته))[1] بل إن "عبد الله" كان من أوائل الأكاديميين العرب الذي أعادوا النظر في ذاكرة الثقافة العربية، ولا سيما السرديات الكبرى والتراث الأدبي في مشروعيه الكبيرين "موسوعة السرد العربي" و"المطابقة والاختلاف". الذي حاول فيه أن يملئ الفجوة التي خلفتها المناهج الكلاسيكية، متسلحًا بأدوات الحداثة وما بعدها. ورغم انشغاله النهم في مجال تخصصه وتوسعه على اغلب المعارف الانسانية في إعادة ترتيب وبلورة الظواهر السردية قديمها وحديثها، الشعبية والنخبوية. فإنه لم ينسَ قول كلمته في مرحلة حبلى بالتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية من تأريخ العراق، لتكون خلفية لسيرته الذاتية. الذي لم يكتف برواية أحداث تلك المرحلة فحسب، بل

---

[1] – استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى في التاريخ، نادر كاظم: ٧.

كشف عن حيثيات مخاضها، ومخرجاتها. تلك المرحلة التي بدأت تزامنًا مع مجيئه إلى الحياة، في أواسط القرن العشرين، وامتددت إلى العقد الأول من القرن اللاحق. ليصبح فيها شاهدًا ومشاركًا من جهة، وراويًا ومفككًا بعد ذلك من جهة أخرى. إذ اتخذ من ممارسة السلطات السياسية، وتلاعبها بالذاكرات الجماعية، بؤرة سردية؛ كشف بها عن أساليب الهيمنة والخداع، التي آلت ببلاد الرافدين إلى مثلث من العنف والحرمان والضياع. بدءًا من الانقلابات العسكرية، ومرورًا بالأيديولوجيات المغلقة، والحروب العبثية، وصولًا إلى فوضى التحرر بعد انفراط المفاهيم المغلوطة.

وفي جميع تلك المراحل، كانت الذاكرة الجمعية، موضع رهان السلطات، التي كرستها لتسويغ قيادة المجتمع، فطمست وزيفت وحورت، ذاكرة الجماعات، لتبرر أفعالها. إذ "إن اختلاق الإرث هو ممارسة كثيرًا ما استغلتها السلطات بوصفها أداة حكم في المجتمعات ذات التجمعات البشرية، ومع تفكك أواصل الوحدات الاجتماعية الصغيرة؛ مثل القرية والأسرة، وجدت السلطات نفسها بحاجة لأن تبتدع طرقًا أخرى تربط بها بين أعداد ضخمة من الناس، فاختلاق الإرث هو منهج لاستخدام الذاكرة الجمعية بشكل انتقائي من خلال التلاعب بقطع معينة من الماضي القومي، وذلك بطمس بعضها وإبراز بعدها الآخر بأسلوب توظيفي بكل ما في الكلمة من معنى."[١] لأن السلطات تدرك جيدًا أن ذاكرة الأفراد هي كينونة هوياتهم، ودوافعها الأساس، وهذه الهويات مختلفة بالضرورة لاختلاف الخلفيات السردية لها. وأمر السيطرة على هوياتهم في الحاضر، مرهون بتلك الصلات المتخيلة، التي يفرضها النظام بالترهيب والترغيب، لتماهي رغباته في تسيير شؤون السلطة الحاكمة في الداخل والخارج وهي مصالح

---

[١] – الإختلاق، الذاكرة والمكان، إدوارد سعيد، ترجمة، رشاد عبد القادر، عن مجلة Critial Inquiry، شتاء ٢٠٠٠.

احادية الاتجاه، مغلقة لا تعترف بتعددية المجتمعات[١]. بل تطوي تحت خيمتها كل ما يمكن أن يهدد أو يعثر مسار نظامها، من معتقدات دينية أو دنيوية. وتسعى جاهدة لي أعناق الخلفيات التاريخية لتلك السرديات، الشفاهية أو الكتابية.

و"السرد في السياق الجديد، هو تشكيل عالمٍ متماسك متخيل، تحاك ضمنه صورُ الذات عن ماضيها، وتندغم فيه أهواء، وتحيزات، وافتراضات تكتسب طبيعة البديهيات ونزوعات، وتكوينات عقائدية يصوغها الحاضر بتعقيداته بقد ما يصوغها الماضي بمتجلياته وخفاياه، كما يصوغها، بقوة وفعالية خاصتين، فهمُ الحاضر للماضي وانهاج تأويله له"[٢] إذ تفرض السلطات الشمولية بنظامها التسلطي، سرديات بعينها وتنسى الأخرى؛ تؤسس شرعيتها وتبرر سَوق القطيع. ولنا في القرن الماضي أمثلة عديدة لهذه الممارسات. إذ "شهدنا الطريقة الغريبة والمتناقضة التي من خلالها كان هتلر يتذكر مذبحة الشعب الأرمني، وكان يأمل أن ينسى العالم مذبحة اليهود بنفس الطريقة. وراود ستالين نفس الشعور والتفكير عند توقيعه على أحكام الإعدام التي صدرت بحق رفقائه السابقين... ولحسن الحظ، فقد أخطأ كل من "ستالين" و"هتلر" بتوقعاتهما، فذاكرة الشعوب تغلبت على النسيان الذي حاولا فرضه"[٣] وكذلك السرديات التأريخية التي بثتها الحركة الصهيونية حول أحقية اليهود في أرض فلسطين. ومن هذا يتضح لنا أن مسالك الهيمنة على ذاكرات الجماعة، غالبًا ما تؤدي دورًا عكسيًا على الفاعلين؛ فتكشف زيف

---

[١] – ينظر: افعال التذكر واستراتيجيات النسيان في النص الروائي العراقي من عام ٢٠٠٣-٢٠١٦. أطروحة دكتوراه، رنا فرمان محمد، جامعة القادسية،٢٠١٨: ١٤.

[٢] – الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠١٤: ١٤.

[٣] – الأمل والذاكرة، خلاصة القرن العشرين، تزيفيتان تودوروف، ترجمة نرمين عبد الله العمري، مكتبة العكيبان، السعودية-الرياض، ٢٠٠٦: ٢٣١-٢٣٢.

ادعاء الحقيقة التاريخية، جراء الممارسات التي تنادي بيوتيوبيا متخيلة، أو فرضيات سياسية ذات مصالح شخصية. و"بحسب ميشيل فوكو فإنه "لا شيء أضعف من نظام سياسي لا يكترث بالحقيقة، لكن لا شيء أخطر من نظام سياسي يدّعي تحديد الحقيقة" والذي يقوله فوكو عن الحقيقة ينطبق على حقيقة التاريخ والذاكرة."[١] لذا يمكن القول ان المأزق الحقيقي الذي واجه السلطات التي تولت مقاليد الحكم في العراق الحديث، يتمثل في مدى قدرة السلطة على اختيار التاريخ الرسمي للدولة والمجتمع؛ لأن بلد مثل العراق يتمتع بذاكرة تاريخية طويلة، وعمق حضاري نتج عنه، تنوع في بنية المجتمع وهويته؛ جراء تعدد السرديات التأسيسية، الذي لم تُصهر بمفاهيم المواطنة والشراكة والتعددية الثقافية. إذ شهد العراق ومنذ خروجه من سلطة الاستعمار البريطاني أبان عشرينيات القرن الماضي، ثلاث تحولات عنيفة، النظام الملكي، والنظام الشمولي، والتجربة الديمقراطية بعد احتلال قوات التحالف بقيادة أمريكا. هزت بنية المجتمع وغربلت ذلك المزيج التكويني للمجتمع، من القبلية والقومية والدينية والمدنية. وأخذت الخلفيات التاريخية مجالها في تعبئة الذاكرات الجماعية بفضل ممارسة السلطات بين مرحلة وأخرى. لأن عملية التحديد الرسمي لذاكرة الدولة، بالاعتماد على سرديات جماعة معينة دون غيرها؛ تولد ردة فعل من جهة الجماعة المهمّشة ذي التاريخ المنسي عنوة، وتنتهي بالصراع المحتدم الذي يحركه الشعور بالإقصاء المتعمد لماضيها.[٢]

لعل بذرة الميول السياسية لـ"عبد الله إبراهيم" ومحاولته دراسة القانون في بداية مشواره في التعليم الجامعي، التي لم تُكتب له بسبب سياقات القبول، أثمرت بعد حين

---

[١] – استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، نادر كاظم، مكتبة فخراوي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨، البحرين: ١٧.

[٢] – استعمالات الذاكرة، في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، نادر كاظم: ١٣.

في تفكيكه نظام السلطة، وكشف خبايا قوته الخفية في سَوق المجتمع نحو ايديولوجيا شموليّة متحكمة في مصائر الأفراد والجماعات. وقدم لنا اجابات ملهمة حول أساليب هيمنة السلطة العراقية المتمثلة بـ"حزب البعث"، منطلقًا بما حمله من أرشيف معرفي نحسبه كافيًا؛ في إدراك سيرورة تلك المنظومة، وسطوتها على الذاكرة التاريخية.

المبحث الأوَّل

تمثيل ذاكرة السّيرة

توطئة:

تنطلق الفنون الإبداعية على مختلف أجناسها، من مركزية قارة تتمثل في تجارب انسانية في "الزمان". تتسع وتضيق وتختلف زوايا تلك التجارب، فتكون ذاتية وغيرية، ماضية واستشرافية، فردية أو جماعية، واقعية أو خيالية، وقد تنصهر أكثر من صفة في عمل واحد. وعلى سعة هذه الوجوه، يبقى الزمان بؤرة تلك الأعمال. "ويبدو من المعقول أن نفهم سرد سيرة ذاتية باعتباره حياة إنسان تتشكل في الزمن"[١] ورغم احتواء الذاكرة للزمان، إلا إنها في كثير من الأحيان تُطرح بشكل مسلم به، ويتعامل مع الزمان المعيش مقابل التجربة السردية مباشرة. الأمر الذي دعا "ريكور "أن يكتب ما يقارب الثمان مئة صفحة، في كتابه (الذاكرة، التاريخ، النسيان) "لسد ثغرة قائمة في داخل الهوية السردية التي تضع تجربة الزمان المعيش وحبكة هذا الزمان في علاقة مباشرة، في حين أنها في الواقع تمرُّ عبر الذاكرة، كي أستطيع أن أسرد حياتي أو حتى أسرد أي رواية لا بد من أن ألجأ إلى ذاكرتي."[٢] والسيرة الذاتية، فن ذاكراتي بالدرجة الأساس؛ حيث يحاول المؤلف جاهدًا تأمل أفعاله وصيرورته في العالم ومع الآخر، عبر الشريط الزماني الممتد من الولادة إلى لحظة الانتهاء من الكتابة؛ لتقديم نوعا من معرفة ما تجاه الحياة. فضلا عن سمته الأدبية الراسخة وتأثيرها في نفوس القراء. "وكل تقديم للذات يرتكز إذا على إعداد حبكة، على سرد تاريخ حياة. والإجابة عن سؤال من؟ إنما هو

---

[١] السرد والهوية، دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تحرير، جينز بروكمير، ودونال كربو، ت، عبد المقصود عبد الكريم: ٤٠٥.

[٢] الذاكرة، التاريخ، النسيان، بول ريكور: ١٤: ٢٧ .

يكتب حنا أرندت قائلا: أن يقص المرء تاريخ حياة. ونجد هنا مجددًا مفهوم الهوية السردية لدى ريكور الذي يرى أن الزمن يصبح زمنًا إنسانيًا بقدر ما يكون متمفصلًا على نحو سردي"[١] إذ "لا تصبح الهوية الشخصية سردية إلا حين توضع ضمن سرد. تصبح الذات الحميمة، التأملية، قصة، ولادة وحتى ولادة زمنية، تؤدي إلى دلالة ذاتية للزمن، للذات كتاريخ، وذلك ضمن سرد النفس وعبره. لا يعود الزمن المتسلسل تاريخيًا، الخطي القابل للقياس، هو الأهم، ولا حتى الزمن المحسوب علميًا، النوعي، المعاش، الحدثي، بل زمن الذاكرة الفعالة، التي تنتج معنى لاتجاه خط الحياة"[٢] في مختلف وجوه الفنون الإبداعية.

ارتبطت الذاكرة (Memory) في اصل لغة العرب، بالذكّر وهو (الحفظ للشيء تذكر ..وقوله تعالى: واذكروا ما فيه ؛ معناه ادرسوا ما فيه ... والذكرى بالكسر نقيض النسيان"[٣] أما اصطلاحًا فقد ارتكزت اغلب التعريفات على صلتها بالتجارب بالماضية واستحضارها.[٤] كما تنتمي الذاكرة إلى شجرة المفاهيم الزئبقية، ذات الثمار المرنة من مثل، (الثقافة، الحقيقة، المعرفة، الزمان ...) والتعامل مع مرونة هذه المفاهيم نسبي، لدخول العديد من العلوم في فضائهن. وربما تكون الذاكرة أكثرهن اتساعًا. فما زالت مدار أغلب العلوم الانسانية، التاريخ، علم النفس، الآداب، واللغات، فضلًا عن تناولها بايولوجيًا

---

[١] الذاكرة والهوية، جويل كاندو، ترجمة، وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٩: ٨٨.

[٢] أزمة الهويات، تفسير تحول، كلود دوبار، ترجمة، رندة بعث: ٣٥٨-٢٥٩ .

[٣] لسان العرب، ابن منظور، مادة ذكر، ص ٣٠٨ .

[٤] ينظر: المعجم الادبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٤: ١١٧.

لشدة صلتها بالعقل والجسد ووظائفه. كما إنها حظيت باهتمام الفلاسفة على مر العصور، بدءا من افلاطون وارسطو، وعلاقتها بالخيال والأثر، ومرورًا باوغسطين وجون لوك اصحاب النظرة الداخلية لها، تلك النظرة التي حاول السوسيولوجيين قلبها، وصرحوا بأن الذاكرة ظاهرة اجتماعية وأن كانت ترتبط بالفرد، وعلى رأسهم موريس هالبافكس. ووصولا إلى الفلاسفة المحدثين، (مارسيل بروست، وسيغموند فرويد، وإدموند هوسرل) وارتباطها لديهم بالشعور ومركز الإدراك، وتعد خالدة بروست، البحث عن الزمن المفقود، من أثمن ما كتب عن الذاكرة والذكريات.[١] وعلى سعة أرضية المفهوم، يمكن عد "انسب الطرق للتفكير بالذاكرة، رغم غلبة التفكير بها بصيغة صور عن الماضي وشيوع تجربتها عبر العصور، هو أنها نوع من المعرفة."[٢] ولكن كيف لنا ولوج تلك المعرفة؟ وخاصة موضع دراستنا السردية. إن فرضية الميثاق السيري لدى لوجون، التي تنادي بتطابق المؤلف والسارد والشخصية المركزية، وكذلك ثيمتها الراسخة التي ترتكز على حياة الكاتب الواقعية.[٣] تؤكد ارتهان السيّري واخلاصه للذاكرة، في عملية لُغوية تَطرح "رؤية لما نسميه ذاتنا وافعالها،

---

[١] ينظر: الذاكرة، التاريخ، النسيان، بول ريكور، ت جورج زيناتي. ومفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون، ت سعيد الغانمي:٣٤٦.

[٢] الذاكرة في الفلسفة والأدب، ميري ورنوك، ت فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠٠٧، ط١: ٦٣ .

[٣]- ينظر: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فليب لوجون، ت عمر الحلي، ص ٢٢-٢٣ .

وتأملاتها وأفكارها ومكانها في العالم."[١] كما أن هذه العملية تحتم علينا غور سبل آليات اشتغال الذاكرة فيها.

يفصل ريكور بين مهمتين أو عملين تقوم بهما الذاكرة. فهناك فرق بين (الذكرى) و(التذكّر). وعملية هذه الفصل كذلك تتجلى بسمتين: "من ناحية، فإن الذكرى المحضة تحصل على طريقة تأثر (انفعال)، في حين أن الاستذكار rappel يقوم على بحث إيجابي نشط. من ناحية ثانية، فإن الذكرى البحتة تقع تحت تحكم الفاعل الحقيقي، في حين أن الحركة وكل عملية التغيير التي سنقولها مبدأهما فينا."[٢] ومعنى هذا إن المادة الخام، يرتهن سبب حضورها لأمرين، أما ان تأتي عن طريق التأثر والانفعال ازاء تلك الحادثة وتأخذ طابع العفوية، أو أن تُسترجع تلك الحادثة بقصدية تامة، وتدخل في عملية مختبرية، فتفكك ويعاد بناءها وفق الوعي الحاضر للكاتب ورؤيته. "وتنشئ نوعًا من العلاقة الوثيقة بين انتقاء الأحداث من الذاكرة عبر إخضاعها لوعي الحالة الراهنة في الكتابة، ودعمها بقوة فكر تجل من رواية الأحداث المستدعاة من مكنز الذاكرة وسيلة أسلوبية لاستحداث عفوية مقصودة، تسعى من جهة إلى عرض الحادثة السير ذاتية في شاشة الكتابة بأقصى ما يمكن نقله من حيوية وحرارة وطرافة، وضبطها من جهة أخرى بقصدية تقانية تحافظ على هندسة التشكيل داخل الفضاء النوعي لفن السيرة الذاتية."[٣] والحال الذي ينطبق على (أمواج) التي تغذت بشحنات عاطفية متأصلة من طبيعة كتابات الأنا، كما لم تفارق طبيعة صاحبها التفكيكية لشتى

---

[٣]- السرد والهوية، دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تحرير، جينز بروكمير، ودونال كربو، ترجمة عبد المقصود:٤٧.

[٢] الذاكرة، التاريخ، النسيان، بول ريكور، ت جورج زيناتي: ٥١ .

[٣] – المغامرة الجمالية للنص السيرذاتي، محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط١ ٢٠١١: ١٣.

أنواع المعرفة. فبين تدافع أحداث ذاتية راسخة فرضت نفسها لتكون ذكريات سردية تشارك القراء سايكولوجيًا، واسترجاعات قصدية استهدفت مركزية القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية أُضفيت عليها تراكم الخبرات والرؤى الشخصية، بالتفسير والتحليل، تشكلت ذاكرة أمواج وسرديتها، التي سنكشف عن شقيها في هذا الفصل.

أولًا: ذكريات أمواج: التَّداعي والتشكيل.

تترسخ سمة الذكرى Remembrance الأبرز كونها "تتعلق بالامتياز المعطى عفويًا للأحداث من بين كل الأشياء التي نتذكرها"[١] شيئًا يفرض حضوره ويعطي أهمية تلقائية تتأتى من سلطة الذاكرة والشعور المترسخ. نتيجة للقوة التي تدفعه، وتكون العاطفة والمأساة بما تحتويه من ضعف وحزن ولذة في الاسترجاع أبرز موجهات القوة لتلك الأحداث المؤثرة. كما إن عفوية الحضور للذكريات قد تأتي "منفردة أو مجتمعة بحسب صلات معقدة تتوقف على المواضيع أو الظروف، أو تحفر على شكل فصول قريبة كثيرًا أو قليلًا من تأليف قصة."[٢] ولا يتوهَّم البعض في كون التداعي مرادفًا للعشوائية أو الغموض، بل هو خصيصة تلتصق بالسيرة الذاتية؛ وذلك لانفتاحها على جوانب نفسية، واجتماعية، وسياسية، وثقافية، فيختلط الخاص بالعام. وهذه التعددية هي ميزة نابعة من طبيعة النوع السردي. لأن "ذلك الواقع الذي يستحضره الذهن متداخلًا لا ينتظمه سلك ظاهر."[٣] ويستحضر "جورج ماي"قول "جوليان جرين"في سياق طرحه لهذه القضية، الذي يقول فيه "إن هذه الذكريات في حاجة إلى شيء من التنظيم. ولكنني اشعر بعجزي عن ذلك. فكأن الأمور كلها تنهال عليَّ دفعة واحدة، فأين مني الترتيب

---

[١] الذاكرة، التاريخ ، النسيان، بول ريكور، ت جورج زيناتي:٥٨.

[٢] المصدر نفسه: ٥٧ .

[٣] السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب، محمد القاضي وعبدالله صوله، ص ١١٧ .

الزمني في هذا الخضم الزاخر؟...أن الذكريات التي تعاودني هي من الكثرة بحيث تنعدم لديَّ كل رغبة في تنظيمها."[١] ترجع إشكالية التنظيم هذه إلى إن كل ذكرى من الذكريات، تحمل حدثًا مختلفًا زمكانيًا، فضلا عن الفجوات التي يخلقها النسيان الطبيعي. الذي "يفعل في الذاكرة فعل التخريب المتعمد في مواد بالغة الشفافية، إذ لابد من وثائق، ومستندات تسهم في استحضار الماضي وتقديمه لحظة الشروع في الكتابة السير–ذاتية"[٢]

إذن ورغم تسليمنا بصعوبة تنظيم أحداث السيرة الذاتية، إلا أنها في نهاية الأمر ضرورة قصصية. و"كل قصة تحتاج إلى شخصية محورية وحبكة. وهذه الحبكة تتطور عبر الزمن. عندما نروي قصتنا الخاصة فإن الشخصية المحورية هي بالطبع نحن أنفسنا، والحبكة هي حياتنا منظورًا إليها من النقطة التي بلغناها."[٣] وباتّ من مسلمات القول في النظرية السردية، ومنذ الملامح الاولى لدى أرسطو، بأن لا يخلو سرد قصصي من حبكة، وتعزز ذلك مع ظهور البنيوية. إلا ان الأبستيم الضيق الذي حُصرت فيه آنذاك، ربما أدّى إلى تلاشي أهميتها في تنظيرات ما بعد الحداثة، تبعًا لوظيفتها الضيقة التي نيطت بتتابع مسار الأحداث في الحكاية داخل النص. "والمشكلة التي تكتنف هذه الفكرة هي أن كثيرًا من الأعمال السردية تقاوم أو تراوغ أو ترفض نموذج الحبكة المذكور ... ويصدق هذا بصفة خاصة على نصوص القرن العشرين التي تظل بإصرار متشظية، أو مفتوحة النهاية أو متناقضة أو معلنة للتحدي بغياب

---

[١] المصدر نفسه:١١٨.

[٢] أمواج، عبد الله إبراهيم، من اليوميات إلى تدوين السيرة، فاضل عبود التميمي، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد،(٢٧،١)، العدد(١٠٥)، ٢٠١٩: ٥٠٤ .

[٣] الذاكرة في الفلسفة والأدب، ميري ورنوك، ت، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١ ٢٠٠٧: ١٩٤.

الحبكة"[١] و"هنالك سبب أقل وضوحًا يكمن وراء هذا الاختزال لمفهوم الحبكة إلى مجرد مسار القصة ؛ أو مخطط أو خلاصة للأحداث. إذا أمكن للحبكة، وقد اختزلت إلى هذا الهيكل التخطيطي، أن تبدو قيدا خارجيا،"[٢] إذ تُصب الآثار الأدبية في القوالب الجاهزة ويهمش او يتغاضى عما يفيض عن مقدار تلك القوالب، التي غالبًا ما تنطلق من فرضية (البداية، والصراع، والحل). لذلك يتبنى ريكور ويتوسع في المفهوم الواسع للحبكة عند أرسطو."الذي يشير إلى كل من الحكاية fable (بمعنى القصة المتخيلة) والعقدة plot (بمعنى حبكة القصة المبنية بإتقان) .وهذا الركن الثاني من الميتوس عند أرسطو، هو الذي أجعله دليلًا لي، وأرجو أن أستخرج من هذا المفهوم عن الحبكة جميع العناصر التي يمكن أن تساعدني فيما بعد في إعادة صياغة العلاقة بين الحياة والسرد."[٣] ولا يمكن أنَّ تنتظم قصة ما، ما لم تؤطر زمنيًا.

وفي ضوء ما سبق سنتابع تشكيل "أمواج" على ثلاثة مسالك الاول: مرحلة البدايات والطفولة التي تتدعى بها الذكريات في الذاكرة المجردة مع آثارهن، والثاني اليوميات، التي ارتكز عليها "عبد الله إبراهيم" لمساعدته في تنظيم ذاكرته. وأخيرًا: العتبات بوصفها استراتيجية سردية عُنيت بتقديم سيرته.

الأول: مرحلة الطفولة والذاكرة الفردية.

---

[١] – الرفيق إلى النظرية السردية، الجزء الأول، تحرير، جيمز فيلان، بيتر رابينوفيتز، ترجمة، محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط١ ، القاهرة ٢٠١٦:٢٧٨.

[٢]الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي ، بول ريكور، ت فلاح رحيم : ٣٣ .

[٣]الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور ، ترجمة وتقديم، سعيد الغانمي : ٤٠ .

تلك المرحلة التي تكون الذكريات المطبوعة في الذاكّرة هي كل ما يملك من أراد كتابة سيرته. والتي لا ترتهن لنظام زمني فيتشابك بها العام بالخاص والماضي بالحاضر. وذلك لأنها تعتمد على الأثار المطبوعة في الذاكرة، والتي تكون عرضة للنسيان. ومن اولى الصور التي يتجلى بها صراع الذاكرة والنسيان في أمواج، مرحلة الطفولة، إذ يسترجع عبد الله تلك الأحداث مفتشًا عن المعاني والآثار، التي تلاشت بفعل غربلة الزمن. يقول: "**وفي السنوات الرابضة على حدَّ النسيان، ندر أن انخرطتُ في النسيج الصاخب لعالم الصغار؛ وما برحت الطفولة شبه مجهولة عندي، وتضاءلت أهميتها ، ثم انطفأت كوهم مُختلق.**"[١] إن عدمية الشعور هذه ناتجة عن تسلل آفة النسيان في تلك الذكريات البعيدة. فغياب التجربة وأي من آثارها في الذاكرة الفردية، يقابله فراغًا في المنطقة التراكمية المعنية في توجيه الهوية الشخصية. ونحن نتحدث عن مرحلة الطفولة، التي لا يختلف اثنان في دورها الفاعل في توجيه حياة المرء. "إنسان دون ماضٍ، دون هوية إذًا، غائص في لحظة متغيرة باستمرار، فارغ من المعنى... وأحد الأشكال الأكثر شيوعًا لهذا الضياع، ضياع الذات، هو وَهَل ذاكرة الطفولة الأولى."[٢] ونتيجة لذلك الفراغ، يشرع عبد الله، في البحث عن أشياء ترمم تلك الفجوات، لعله يجد مسببًا في ذلك العزوف عن عالم الصبا. يقول "**يحتاج المرء إلى أن يتصرَّف حسب عمره، لكنني أحجمت عن تصرُّفات الصبا، أو مُنعت عنها لأسباب أجهلها. ولم يُشهر أحد في وجهي حدّ المنع، وما شُدَّت أذني تقريعًا، إنما لم أدرك**

---

[١] – أمواج، سيرة عراقية، عبد الله إبراهيم، الطبعة الأولى، الدوحة دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ٢٠١٧: ١٢.

[٢] الذاكرة والهوية، جويل كاندرو، ت: وجيه أسعد:٧٦ .

معنى أن أكون طفلًا ولا فتى، فتقمصت دورًا لا يُناسب سني في معظم مراحل حياتي؛ وبذلك انشق إيقاعها عن إيقاع حياة الآخرين ولم أعرف لي مرفأ أخيرًا أخلد إليه."[١]

إن منطقية سرد واستذكار مرحلة الطفولة، تتعلق بالعالم الصغير الذي وجد فيه، المتمثل بالعائلة، والمدينة التي نشأ وترعرع فيها. وقد ساير عبد الله هذه المنطقية وتوسع بها، رغم هشاشة مساحة خزن تلك الأحداث في الذاكرة. فاستدرك ضياع ذلك العالم باستدعاء الاب، بوصفه محمولًا ثقيلًا في الذاكرة، وموجهًا رئيس في وعيه ولا وعيه. يقول: **"مات أبي في ربيع عام ١٩٦٥، ولم ينطبع من الذكرى في نفسي سوى جمع متدافع من رجال شيَّعوه إلى المقبرة المجاورة لبيتنا. لم يشعرني أبي بالدفء والسكينة، فورثتُ صفاته، وتقمصتً دوره مع أولادي. قضى وهو دون السبعين، حينما كنت في الثامنة، فصورته في ذاكرتي تلوح سرابًا متباعدًا"**[٢] تتماهى شذرات الصور البعيدة لتلك الأحداث مع تداعياتهن الشعورية المترسبة في الذاكرة. بغية الوصول إلى معرفة الوضع الراهن لشخصيته؛ وهو (ميراث صفات الأب بالوعي الماضي القاصر) ومأتى ذلك القصور، محدودية الوعي آنذاك. الذي كشفها لنا تحبيك السرد للزمن، من خلال حديثه عنه مستقبل الماضي. إذ أن سيرورة السرد هنا تصور علاقته بأبيه، وهي الماضي، أما علاقته مع أبناءه، فهي المستقبل لذلك الماضي، تجلت من خلال تصوير السرد المفارقة الزمنية للذاكرة. وهي تسرب صفات الأب، ولا سيما الجفاء في سلوكه، يقول: **"لم يلمس أبي خدَّي بتحنانٍ، وما ضمنَّي إليه، وما تسرب إلي منه أي عطف، فربما أكون ظِلًا لهُ، بل أنا كذلك. "**[٣]

---

[١] أمواج، عبد الله إبراهيم:١٢ .

[٢] أمواج، سيرة عراقية، عبد الله إبراهيم: ٢٠ .

[٣] المصدر نفسه: ٢١.

ينتهج عبد الله في إعادة بعث تطور وعيه ضمن الذاكرة البعيدة، التي يصعب فيها التتابع الزمني، والتصوير السردي، لضعف ما اختزنته من تفاصيل الاحداث. بفتح اخاديد سردية عديدة للحدث الواحد. تساهم في ديمومة السرد من جهة، وتغطية الأرضية الواسعة للهوية من جهة أخرى. فحينا استرجع علاقته بأبيه، توسع بذلك السياق واسترسل في قضايا النسب والعشيرة، والمذهب، وتداعياتهن على المجتمع. يقول **"ما أعرفه أنه ليس لأسرتي تاريخ مكتوب إنما نتف من مرويات يصعب ضفرها لتكوين حقيقة متماسكة، وما استأثر ذلك باهتمام أحد من قبلي، ولست مستعدًا لاختلاقه من أجل أن يكون خلفية لسيرتي الذاتية، فأنا عنيد، ومتطابق مع أفكاري، وليس من الحكمة أن ينتسب الجميع إلى سلالات خالدة، وما شعرت بالحاجة إلى ذلك."**[1] يتماهى عدم النكوص هذا مع مقولة (الذاكرة السعيدة) لدى بول ريكور. وهو نسيان مقصود لتأصيلات قبلية وتأويلات لاهوتية، وأعراف اجتماعية. ويستمر بنفيه أمر أن تكون تلك القضايا من موجهات وعيه واهتماماته، بسرد حوادث كسرت تتابع زمكان السرد، ولاحقت تنظيم ذاكرته للتجارب المعنية في متابعة تطور وعيه.

ومن تلك الحوادث، أُوردُها حسب تسلسلها في السيرة.

"حادثة في أحدى جامعات قطر عام ١٩٩٩، حينما كان أستاذ، أشهر لطالباته عن نسبه الذي يمتد إلى أبي فراس الحمداني، لكنه يُفَضّل غريمه المتنبي، لتفوقه الأدبي"

"حادثة في أحدى زيارته للعراق بعد عام ٢٠٠٣، حينما زاره أحد النسَّابة، ليدون كتابًا في نسب الحمدانيين. ازدرى بسؤال مبطن للنسَّابة عن كيفية تتبعه المظان الشفوية للقبيلة الممتدة ألف سنة. إشارة منه عن الجدوى من ذلك."

---

[1] أمواج: عبد الله إبراهيم:٢٢ .

"حادثة حينما كان في ليبيا منتصف التسعينيات، مجيبًا عن سؤال أحد الأصدقاء، عن عشيرته الحمدانية. وبعد إجابته يباغته صديقه بأنه عشيرته تنتمي إلى احد المذاهب الدينية."

"حادثة حينما كان طالبًا في أحدى جامعات البصرة، وهو في العشرين من عمره. إذ أولت عدم مشاركته في أحياء ندبًا على الإمام الحسين مع زملاءه في السكن بشكلٍ شخصي."[١]

كشف لنا فعل التذكر في هذه التجارب، عن اقتران المعرفة لحظة وقوع الحدث. أي ان الأحداث هي من تكشف عن نفسها. على عكس سرد علاقته بأبيه، التي ابتلع تفصيلها النسيان، واستعان بالاستطراد والمخيلة لنسج تلك النبذ عنه. يقول "**نمتْ بنموّي أسطورة أبي الذي غاب قبل أن أستوعب وجوده، وتضخمت مزايا العصامية، والثبات، فكلما نأينا عن لحظة الحقيقة استعدناها تخيُّليا بحثًا عن توازن مفقود.**"[٢]

وإذا كان الموت مبكرًا قد أقصى الأب من ذاكرة عبد الله الفردية، فمن الطبيعي أن تحتل **الأم** بقية ذكريات تلك المرحلة. إذ ولاها القدر مهمتين معًا، الأمومة، والأبوة. "**بُعيد اختفاء أبينا احتوتنا هي، وسعت إلى تنظيم حياتنا، فتعلقنا بها، فمن المدينة تعود، بين أسبوع وآخر، شجرةً مثمرة تنوء بصرة مملوءة بالجوز، والزبيب، والتمر المحشو بالفستق، وأكياس المملَّحات... وقد زرعت في نفسي الدور الذي سأتكفل به إلى النهاية: رجل البيت. ودفعت بي إليه، وكانت تردد: أنت كبير يا صغيري.**"[٣]

---

(١) المصدر نفسه: ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) أمواج، سيرة عراقية، عبد الله إبراهيم:٢٢ .

*- الذاكرة السعيدة لدى ريكور ممارسة قصدية لنسيان تاريخ ما، بحجة عدم التوافق مع الماضي فكريًا. ينظر: الذاكرة والنسيان، بول ريكور : ٦٠٢_٦٠٣.

(٣) أمواج، سيرة عراقية، عبد الله إبراهيم: ٢٦ .

and is based on the writer's life, contemplating his personal and collective experiences, and rebuilding them narratively, competing with time, to reflect his renewed consciousness.

The research is an attempt to uncover the hidden "amwaj" of Abdullah Ibrahim's narrative, hoping to find out how the course of the narrative was organized and reconstructed his life. It revealed (the semantics) of the human experiences in which he participated or was a witness. Abdullah Ibrahim, the emerging academic and encyclopedic cultural intellectual. This is not a compliment he lacks, as it is imposed by the epistemological importance that he presented within his theses in the space of Arab culture in general, and literary narrative in particular. This importance was attributed to the selection of his biography as a subject for study, which came based on the background of events precipitated by the social, political and cultural transformations of Iraq for nearly five centuries.